الباب الثالث

مرايا

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

تصريحات ما بعد رؤيتهم لأنفسهم في مرآة الحرب

مرآة شجاعة؛ مرآة زوجة أب «سنو هويت»، التي كانت تعترف لها، دائمًا، بأنها ليست أجمل امرأة في العالم، لأن «سنو هويت» أحلى منها. فهل يوجد مثل تلك المرآة في (إسرائيل)؟!، خاصة، وإنه هناك نقدًا حادًا تغص به الصحف، يوجهه الإسرائيليون إلى (إسرائيل).

فيعلنون: «بدءنا عام ٢٠٠٦ بوعد من أولمرت بأن تكون إسرائيل البلد التي سنسعد جميعًا بالعيش فيها...وانتهى العام بالخوف من اقتراب الدمار الكامل»!، وذلك وفقًا لما كتبته صحيفة «إسرائيل إنسايدر». ليصبح بذلك أقسى نقد، هو ما وّجه إلى حكومة أولمرت، في أعقاب الحرب اللبنانية، التي كشفت كثير من فضائح النظام الإسرائيلي.

هذه هي (إسرائيل)، التي قال عنها الكاتب الأمريكي لورانس ماير: «إن إسرائيل نشأت في أقل من أربعين عامًا، مثل طفل عبقري، مدلل، خاضع لبرنامج غذائي إجباري، بحيث يتعذر السماح له بالنمو، بصورة طبيعية. ولهذا الطفل ذراعان طويلتان، وغليظتان، وساقان قصيرتان، وقويتان، ولا يعرف المرء في إسرائيل، يقينًا، إن كان يتوقع الكثير، أو القليل».

ما لم يكن متوقعًا، هو أن تبادر الصحف الإسرائيلية، قبيل الاحتفال بمرور ٦٠ عامًا على إعلان قيام (إسرائيل)، عام ٢٠٠٨، بإستفتاء أعلن أن «إسرائيل صارت عدوة نفسها، وأن الديمقراطية لن تتحقق إلا بمصالحة الدول العربية، والتخلص

obeikandi.com

من الرئيس، وحاشيته الذين أودوا بإسرائيل إلى التهلكة، أو ربما بالتخلص من العادات غير اليهودية»، كما يقول موشيه ولفيش، في الإستفتاء نفسه: «لكي نُقّوي القومية اليهودية، علينا، أولاً، أن نتوقف عن التقليد، كالقرود، للعادات غير اليهودية، بما فيها بداية العام الجديد، في يناير».

أما روب ليبتون الأمريكية، فتقول «على إسرائيل أن تكف عن الاستمرار كدولة يهودية، وتصبح دولة دنيوية، قائمة على الديمقراطية للجميع». فيتم ذلك بالوسيلة التي قدمها شاؤول ديفد، قائلاً: «لكي نتخلص من التصعيد الإرهابي، علينا أن نتخلص، أولاً، من تجار الحرب، أولمرت، وبيريز، وحالوتس، وكل قادة الحرب على لبنان، وألا نستثير، بعد ذلك، غضب (حماس)، أو (حزب الله)». وقد يشمل ذلك، كما قال جوزيف كوركون، الأمريكي «الكف عن تسول المال من نقود الضرائب الأمريكية... قفوا على أقدامكم، مرة واحدة، فلدينا فقراء كثيرون، علينا الاهتمام بهم»، لكن قد يُرى كل ذلك على أنه لصالح خلاص الشعب اليهودي كما يقول أحد الشباب: «أنا مؤمن بما قال النبي، مؤمن بأن إسرائيل ستواجه الكثير من الآلام، والمشكلات لتربط قلب الشعب اليهودي بقلب أبيه الرب، فيقودها الرب إلى الحرية، والخلاص».

على الرغم من اتفاق كثير من الآراء في ضرورة الابتعاد عن فلسطين، ولبنان، وانتهاكات حقوق الآخرين، وضرورة التزام (إسرائيل) بقرارات الأمم المتحدة، فإن هناك رأيًا آخر، عبَّر عنه جيمس روبرت: «فليحمي الرب إسرائيل، التي عليها ألا تكف، أبدًا، عن متابعة القتلة العرب، وملاحقتهم بالأسلحة، كما أن عليها أن تمسح بهم الكرة الأرضية»، في ظل هذا لصراع قد يحدث، كما قال كوجيه نيلسيين أنه «بعد عدة أعوام سيحل محل الجيل الحالي جيل آخر، رأى بعينيه أهوال الحرب،

فأنهكه الصراع، مما سيؤدي، حتمًا، لإذابة عزلة إسرائيل، فينضم المسلمون، واليهود، والمسيحيون، حيث يتعلم كل منهم دينه، ويتعلم احترام دين الآخر».

الدين هو الشعار الذي سقطت تحته (إسرائيل)، كما يرى البروفسير، ميشيل هاريسور، الوضع في صحيفة «يديعوت أحرونوت»، حيث قال: «للمرة الأولى، في التاريخ، تخسر الولايات المتحدة الأمريكية حربًا في العراق. ولأول مرة في التاريخ، أيضًا، تخسر إسرائيل، هي الأخرى، وكان ذلك في لبنان. وتحمل الهزيمتان أمرًا مشتركًا، هو الدين.

«بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، فإن بوش شخص متدين بطبعه، يتصرف كأنه مُساق بوحي مقدس، لذا يرى أنه على الرغم من الهزيمة في فيتنام، فسوف يربح معركته في العراق، حتى دون أن تتضح أمامه الظروف المطلوبة لتحقيق النصر. ومن الملامح الأخرى لتدين الرئيس، منعه لأي مساعدات للشركات التي تشجع على الإجهاض، ومهاجمة البوليس الأمريكي للمستشفيات المشكوك في إجرائها لعمليات إجهاض. كما أرسل الدعم للقضاء على الإيدز في أفريقيا، وشن حربًا على نظرية دارون التي قيّمها بأنها كاذبة، لأن الله هو الذي خلق العالم، وليس الخلق مجرد تطور. ودس هذه الفكرة، من خلال مناهج المدارس.

«على الرغم من كل هذه المحاولات لبوش، فإننا نرى ثمة بقعة من الضوء في النفق المظلم، في انتخابات الكونجرس القادمة، التي، حتمًا، ستثبت أن الناس قد أفاقت. وربما بسبب الارتباط الوثيق بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل، يكون قد آن الأوان لشعب إسرائيل أن يفيق هو الآخر، خاصة مع إسرائيل، الدولة الديكتاتورية التي عجزت عن إقامة سلام مع جيرانها، واكتفت قواتها العسكرية، أذكى قوات العالم، بكوارث إنسانية كثيرة، مثل (حرب الأيام الستة ١٩٦٧) في

السويس، (عملية عنتيبة)، وغيرها الكثير الذي جعل إسرائيل صاحبة أسوأ جهاز استخبارات في العالم».

يسرائيل روبرت عومان

أمام نقد الشعب لدولته، كان نقد المثقفين لها ذي صدى أكبر، مثل المناقشة التي عقدتها صحيفة «يديعوت أحرونوت»، ما بين عالمين إسرائيليين كبيرين، وفائزين بجائزة نوبل. وكتبت مقدمة إياهم كالتلي: «من الناحية السياسية هم قطبين متباعدين، لكنهم يشتركون في رأي واحد، في أحد الموضوعات، وهو فشل القيادات، الذي أدى إلى دمار إسرائيل، إنهم البروفيسير يسرائيل روبرت غاي عومان، الحاصل على جائزة نوبل في الاقتصاد، لعام ٢٠٠٥، والبرفيسور، أهارون سيشانوفر، الذي حصل على جائزة نوبل في الكيمياء، لعام ٢٠٠٤، مناصفة مع الإسرائيلي أفرام هيرشكو، والأميركي أروين روز، عن أعمالهم حول دفاع الجسم عن نفسه ضد الأمراض.

رأى العالمان -اللذان يُمثلان طريقين متناقضين في آرائهم السياسية- أن (دولة إسرائيل) تسير في الاتجاه الخاطئ، تنجرف إلى الظلام، حيث مصيرها المحتوم بالهلاك، وهذا ليس بسبب أعدائها الخارجيين، الذين، حتمًا، سنتغلب عليهم بالتقدم التكنولوجي، إنما اللوم كله يقع على الإسرائيليين أنفسهم، شعبًا وقادةً، أو هؤلاء الذين يسمون أنفسهم قادة. فكل شيء يبدو مفتقدًا للقيم، ومؤقت، وكأنه مجرد رقعة ستتمزق بأقل لفحة هواء.

تسائلت الصحيفة: هل يتوقع العالمان فوز المزيد من الإسرائيليين بجوائز نوبل؟، فأجاب سيشانوفر: «جائزة نوبل حدث نادر، ربما يكون أكثر ندرة من أن يصاب

أحدهم بإصابة الرعد، وإسرائيل لا تضع الفائزين بنوبل على أجندتها القومية، لذا فلا يعني لها شيئًا أن ثلاثة من الفائزين بجائزة نوبل يعيشون فيها، وهي كل ما تحتاجه بعض الباحثين، والفلاسفة، ورجال ذوي مناصب عالية يقودونها!»(*).

يكمل سيشانوفر: «هناك ارتباك علمي، على كل المستويات، حتى بين الحاصلين على درجات أكاديمية، فلديهم أخطاء لغوية، وثقافة سطحية، وإهمال للتاريخ. فنحن نريد مؤسسات تعليمية، بقيادات قوية، ولكن هذا النوع من القيادات قد اختفى... فالحقيقة أن (دولة إسرائيل) لم تعد المركز العالمي للفكر، والتاريخ اليهودي، إنها مركز الإفلاس الثقافي الكبير، فنحن لم نعد قادرين على جلب علماء جدد إلى إسرائيل، ولا قادرين حتى على تحمل تكلفة البحث عنهم، والتنسيق معهم، لأننا نواجه بميزانية تنخفض، مع الوقت». فتدخل البروفيسير عومان في الحوار معلقًا: «إنك على صواب، مائة بالمائة».

وعن رأيهم في النخبة الحاكمة، يقول سيشانوفر، بينما يهز عوماي رأسه بالموافقة: «إنه أمر محزن، حقًا، فلا يوجد بينهم الملهم الذي ننتظره أن يخرج بقرارات، أو نتمنى أن نستمع إلى أفكاره. فأعضاء النخبة الإسرائيلية ليس لديهم أفكار تُسمع، أو حتى أجندة، لأنهم يهدرون أوقاتهم في مناقشات، وخطب، ويطلقون ألسنتهم بآلاف الكلمات، والأفعال للشجب، والرفض، والثورة، وكل ذلك في الحقيقة ممسوخ من المعنى والإحساس، فقادتنا، دائمًا، ما يعلنون شعاراتهم الأخلاقية، التي فقد الشعب الثقة فيها، تمامًا..ليختتموا الأمر بفقاعة صابون كبرى، تدعى حزب

(*) يُذكر أنه قد حصلت (إسرائيل)، لأول مرة، على جائزة نوبل، حين أخذها الروائي شموئيل يوسف عجنون في الآداب، عام ١٩٦٦، ثم تلاه إسحق رابين، وشيمون بيريز بجائزة «نوبل للسلام»، عام ١٩٩٤.

كاديما(*)..إنه السرطان، الذي ينتشر في الجسد الإسرائيلي، ويزحف على الأطراف لإنهم يستثمرون كل رموزنا الوطنية، ولم يبق إلا العلم، والنشيد الوطني لإستثماره بعد أن أُستهلكت كل رموزنا الوطنية، وبهذا فلا يدهشني فشلنا في الحرب اللبنانية الأخيرة، عمليًا وأخلاقيًا، فحتى جيش الدفاع الإسرائيلي يستثمر نفسه».

أضاف عومان: «المشكلة ليست في جيراننا، المشكلة فينا، في عدم صبرنا، وأنانيتنا، التي تنمو، وتتزايد بداخلنا، فبرنامجنا السياسي القومي يُعطل المصالح العامة، ليدفع بمصالح حاشية السلطة إلى مقدمة الاهتمامات السياسية، فإسرائيل ٢٠٠٦ اختلفت كليًا عن إسرائيل ١٩٥٦، التي هاجرت إليها، أثناء المعركة الدائرة في سيناء، والجديد هو أن كل فرد صار يبحث عن مصلحته الخاصة فحسب».

أتفق معه سيشانوفرحول أنهيار القيم قائلاً: «جاء والداي إلى إسرائيل، لأنهما أرادا الدولة اليهودية الحرة، التي يستطيعان العيش فيها، لكن، للأسف، وبوضوح، أرى الآن أنهيارات، وانقسامات مجتمعية كثيرة. وكنت أتوقع، في المقابل، أن يستيقظ رئيس الوزراء، ووزير الدفاع، وكل الوزراء في الصباح، ويسألوا أنفسهم: بعد ستة أشهر من تولى السلطة، ماذا فعلنا لهذه البلد؟ هل حققنا شيئًا واحدًا مما وعدنا به من انتخبونا؟ فهذا هو أقل اعتبار أخلاقي كان يجب أن يضعوه في إعتبارهم. وأنا لا أعرف كيف يمكنهم العيش في سلام، بعد هذا الفشل، الذي حققوه بأيديهم، والذي ليس لديهم حياله أي إحساس بالخزي ولا العار لأنهم، ببساطة، لا يهتمون بكل ذلك الذي يُبشر بأننا لا نستطيع البقاء كثيرًا، ولو لم تقلع إسرائيل عن كل ما تفعل سوف تُقتلع جذورنا من هذا المكان، خاصة، وأن الشعب الإسرائيلي صار محملاً بالأنانية، والتكالب حول رغبات الذات، الناجمة عن نظام

(*) أنشأ شارون حزب كاديما، منذ بضعة أعوام، عند انفصاله عن حزب الليكود.

السوق التنافسي، وذلك بدون أي معيار ديني، أخلاقي، قومي، أو حتى ثقافي».

داليا رابين

ليس العالمان الفائزان بجائزة نوبل هما من يوجهون النقد، بل عبرت داليا، ابنه رئيس الوزراء السابق، إسحق رابين -الذي أُغتيل على يد إيجال عامير- عن نقدها، قائلة: «إن القيادة السياسية لا تصدر أوامر واضحة، وهذا ما قد يفعله أي نظام سياسي إجرامي آخر. إنني بدأت أؤمن بمقولة أخي إن كل ما تحتاجه إسرائيل هو اغتيال سياسي آخر، ليهتز المجتمع الإسرائيلي بأكمله، مبشرًا بلحظة النهاية».

النهاية التي تبدأ من عدم احترام الدولة اليهودية لحقوق الإنسان، كما كتب إيفيلين جوردن، في «جيروسالم بوست»، قائلاً: «الجيش الإسرائيلي بارع في توجيه الرسائل فحسب، وهو الشيء المُفضل لإسرائيل في مكافحتها للإرهاب... فهي تدمر حقولاً فارغة، وتقصف المنازل الخالية من أجل توصيل رسائل إلى الإرهابيين، مفادها أن جيش الدفاع الإسرائيلي قد يفعل بهم ذلك، إذا أراد».

وقفة إحتجاجية قام بها يهود غير صهاينة ردًا على تصعيدات إسرائيل عند المسجد الأقصى (٢٧/ ٢/ ٢٠٠٧). كتبوا في اللافتة «الديانة اليهودية تمنع بشدة المس بمقدسات الإسلام»

obeikandl.com

شكلاً سلميًا آخر للنقد تعبر عنه جماعات السلام، التي تظهر في (إسرائيل) معترضة على سياسات حكوماتها، مثل جماعة «مقاتلون من أجل السلام»[1]، وهي جماعة من الفلسطينيين، والإسرائيليين، لها أهدافها، التي تتلخص في تحرير فلسطين، لأنها ترى أن هذا الصراع لن يحله العنف، وبالتالي يجب إنشاء دولة فلسطين، إلى جوار (دولة إسرائيل). منظمة أخرى، اسمها «صوت واحد»، تضم أكثر من ٥٠٠ ألف فلسطيني وإسرائيلي، تسعى إلى الغرض نفسه، وقد قامت بحملة، مؤخرًا، في أكتوبر ٢٠٠٧.

اللعبة الإسرائيلية لصناعة السلام[2] وجهًا آخر للنقد السلمي، وهي اللعبة التي تبنتها الكثير من الصحف الإسرائيلية فـ«لعبة صانع السلام تجذب اللاعب لتورطه في الأحداث، فيفهم، فجأة، أنه مربوط بالعالم الحقيقي»، هذا ما قاله أحد الخريجين الإسرائيليين الذين أمضوا عامًا كاملاً، في تصميم لعبة الفيديو «صانع السلام».

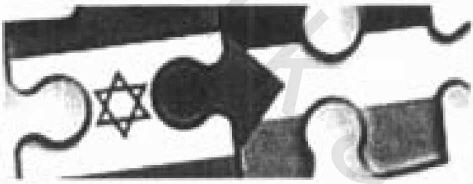

شعار لعبة السلام

أسي بوراك، وإيريك براون، الطالبان، اللذان تخرجا، حديثًا، من الجامعة، وبدءا مشروعهما بعد أسبوع من التخرج، يأملان أن تغير لعبة الفيديو وجهات النظر في الشرق الأوسط، لأن تلك اللعبة تحاكي العنف، والشغب السياسي للصراع الإسرائيلي -الفلسطيني.

في اللعبة يختار اللاعب ما بين أن يكون رئيس وزراء (إسرائيل)، أو رئيس

(١) أنظر موقع الجماعة:
.<http://www.combatantsforpeace.org/ >

(٢) أنظر موقع اللعبة:
.<http://www.peacemakergame.com/ >

السلطة الفلسطينية. ويتخذ القرارات السياسية مع المجتمع الدولي، في الوقت الذي يمر فيه بأحداث مقلقة، حافلة بالعنف، تهدد لعبته بالفشل، مثل ظهور انتحاري، أو هجوم عسكري إسرائيلي، قد يدمر ما قام به اللاعب. تتكون اللعبة من عدة ألعاب، إحداها تسمى «لعبة الصيد» التي تعتمد على ظهور إرهابي، يهدد عدة مناطق، ويلحق الدمار بالمكان، فتلاحقه القوات. لعبة أخرى تُعلم عدم العنف في محاربة الديكتاتور، أو القوات المحتلة، أو الحكام الفاسدين.

شكل أكثر عنفًا يعبر به الإسرائيليون عن نقدهم لـ(إسرائيل)، مثل قيام ستة مراهقين بإحراق علم (إسرائيل)، يوم الاثنين الموافق ٢٩/ ١ / ٢٠٠٧، في مدرسة بات يام، وتراوح أعمارهم ما بين الثانية عشر والخامسة عشر، وعلى الرغم من أنهم ينتمون لعائلات يهودية ومسيحية، فإنهم أرادوا -كما قالوا- بذلك إعلان كراهيتهم لليهود، والدين اليهودي!

فهل الكراهية هي الدافع وراء عدم إقبال الإسرائيليون على شراء علم (إسرائيل)؟!، حيث أعلنت «حداشا بيرمان»، صاحبة إحدى الشركات المُصنعة للعلم الإسرائيلي بأن هناك انخفاض في شراء الجماهير للعلم الإسرائيلي. وتقول بيرمان: «يبدو أنه لم تعد لدى الناس الرغبة في التلويح بعلم إسرائيل، لأن الإقبال على شرائه أقتصر على المصانع، والمؤسسات، والمنظمات. وأمام هذا التراجع في الإقبال على العلم، نجد الناس مهتمين بشراء المنتجات المكتوب عليها (صنع في الصين).

يقول صاحب مصنع آخر لتصنيع الأعلام: «كم هو مثير للسخرية أننا نصنع أعلام أسترالية، لتستخدمها أستراليا في احتفالاتها القومية، بينما السلطات الإسرائيلية لدينا ترفع أعلامًا كُتِب عليها (صنع في الصين). ويعتمد مصنعي على

تصدير آلاف الأعلام إلى الجاليات اليهودية، خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، وأوروبا».

أما ديفيد شاراجي، فيعلق: «إنني أبيع ٢٥,٠٠٠علمًا سنويًا، ليتم وضعها على قبور الجنود. ويبدو أن وزارة الدفاع لا تزال تفضل الأعلام إسرائيلية الصنع».

قد يأتي النقد لـ(إسرائيل) من العالم المسيحي، حيث أشارت صحيفة «هاآرتز» إلى قيام المجلس الدولي للكنائس بمناقشة مسألة مشاركة العديد من الأورثوذوكس، والبروتستانت المسيحيين، في شركات تتربح من وراء سياسات (إسرائيل) في الضفة الغربية وقطاع غزة. وقد أقر المجلس في منتصف ٢٠٠٦، البدء مرحليًا بمقاطعة تلك الشركات الدولية المسيحية، التي تصنع الجرافات الهادمة للبيوت، أوالتي تتولي بناء الجدار العازل.

صوت آخر نقدي يعلو من أوروبا، لصالح القضية الفلسطينية ضد (إسرائيل)، حيث قامت أيرلندا ضمن حملة تضامن. في نوفمبر ٢٠٠٧، بعمل فيلم وثائقي بعنوان «الإحتلال ١٠١»، وحصل على جائزة أفضل فيلم أوروبي. يناقش الفيلم الجذور التاريخية للصراع الفلسطيني-الإسرائيلي، وتدَخل حكومة الولايات المتحدة الأمريكية في الأمر. كما يحاول الفيلم طرح صورة حياة الفلسطينيين، تحت الإحتلال العسكري الإسرائيلي، والهيمنة الأمريكية.

دفاعًا عن المقاومة الفلسطينية، أكد الفيلم من بدايته على أن المتمردين لا يكونوا هكذا بطبعهم، إنما بسبب الطريقة التي يُعاملوا بها، وأورد نماذج تاريخية، وعالمية، في عدة بلدان قام فيها الجيش والحكومة العسكرية بضرب المواطنين، وإساءة معاملتهم، الذين بدورهم دافعوا عن أنفسهم، بشكل قد يبدو همجيًا، وبعد الانتهاء من النماذج التاريخية الكثيرة، عرض الفيلم أطفال الحجارة، والشباب الفلسطيني،

openelkandil.com

الذي يحاول الدفاع عن نفسه أمام التعنت الإسرائيلي.

تطرق الفيلم إلى عرض لقطات من داخل بيوت الفلسطينيين غير الصالحة للاستخدام البشري، والتي قد تضم ١٤ فردًا في غرفة واحدة، وصوت المعلق يقول: «لا يوجد مكان للعب الأطفال، لا شوارع، لا أشجار، لاشيء» إنما، كما قال أحد الأطفال: «القعود هنا صعب...كل ما بيضرب الصاروخ بيتشقق الحائط»، أو كما قالت طفلة أخرى: «الدار أنحرق... ليش هما كسروا أغراضي كلها... ورميناها على الزبالة... بنشحت أواعي[*] من الناس...حتى الأكل اللي بناكله ريحته غاز... خليهم ييجوا، يشوفوا لبسنا ودارنا...أيش بدي أسوي..حتى نظارتي اللي آبوي جابهالي، مفرحتش عليها، خواتمي، إسورتي، كيف بدي أفرح على أغراضي، نفرح على أغراضنا بإيش؟!»

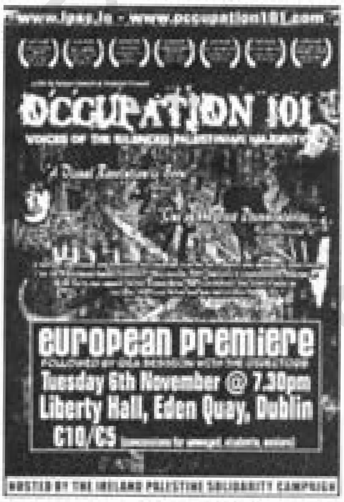

يمكن مشاهدة الفيلم على الموقع الإلكتروني [١]، والذي أعلنت فيه جماعة التضامن عن شعارها «صوت الأغلبية الصامتة»، و«أنس كل ما سمعته في السي إن إن»، ثم قدمت لقطة، تستقبل كل من يدخل على الموقع عبارة عن إسرائيلي، يقوم بتعتيم الكاميرا بيديه، وعلى أثر ذلك نسمع صوت انفجار، وتظهر جملة: «أنس كل ما تعرف، كل ما تفكر».

(*) تعني كلمة أواعي في اللهجة الفلسطينية، ملابس.

(١) أنظر موقع الفيلم:
.< http://www.occupation101.com/>

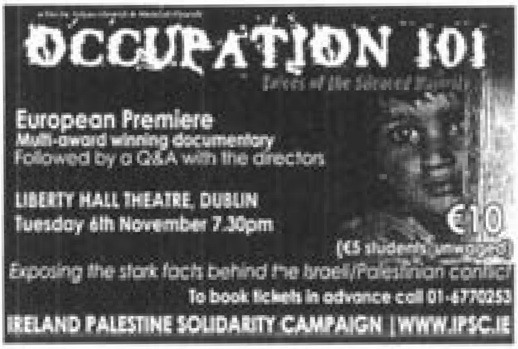

إعلانات عرض الفيلم

بما أن للأوروبيين رأيًا، فمن باب أولي أن يكون للإسرائيليين رأي في الصراع العربي-الإسرائيلي، يجعلهم يقرأون العالم 'العربي والإسلامي، ويحللونه، ثم يخرجون بنتائج تسير في المسار المرسوم لها منذ البداية.

◆◆◆

obeikandl.com